الاغترار بالظواهر

تابع صفحة ٢٠٧

اراني اسهبت في السياسة وانا لا اريد هذا الاسهاب وانما جمح الفكر فتجاوزت حدّ الايجاز · على ان المتكلمين في هذا الموضوع لم يبقوا مجالاً لقائل والصحافة قد اشبعت منه الناس

بيد انهم لم ينتبهوا جيداً الى ان السرّ في الاخلاق واخلاقنا علة تأخرنا فعبثاً نفتريها عندنا من دلائل الترقي · وليست الاثاب التي يتلبس بعضنا بها الا سطحية لم ترسخ في القلب بل هي قشور او سراب · اما المعارف فهل ترونها الا قواعد لغات ؟ واذا ارتقت فشيء قليل من الرياضيات والطبيعيات اما في الاجتماع والعمران وفي الاخلاق والنفس فترونا باسوء حال

خطب اللورد ورزبري رئيس وزارة انكلترا الاسبق من عشرين يوماً في لندن خطاباً حضّ فيه على احسان تربية الاخلاق وعدم الاكتفاء بالمعارف دونها واحوال الانكليز معروفة لدى الجميع فاذا كانت هذه حال عظمائهم بالعناية بزيادة تحسين اخلاقهم فكيف بنا نحن المجبولون من سيئات خلقية اقل مايقال فيها اوّاه منها

نحن في بلاد عشش فيها الكذب واستقرّ آمناً في افواه الناس ومع معرفتنا مبلغ احاديثنا من الصدق واقوالنا من الصحة لا نزال نغترّ بما نرى وبما نسمع نقاس الناس باعمالها لا باعمارها ولكننا نحن ما برحنا متوهمين ان كلّ كبير اعقل من كل صغير وكل شيخ ادرك من كل شاب · وقد توهم بعضنا ان المرأة الشرقية كانت بالامس اكثر آداباً منها اليوم وافضل لتربية الاولاد وتدبير المنزل على انها بالعكس · وليس ما يعدّه البعض حقة منها الا جرأة واستقلال وبهاتين

الفضيلتين نبلغ قمم العمران

للجامدين دون العلم حجة يتخذونها ممن يصرفون السنوات في المدارس ولا يستفيدون شيئاً يذكر او انهم لا يحققون امال ذويهم فيتنقصون نفع المدارس ويتوهمون العلم مفسدة للاخلاق على ان التربية غير التعليم والقدوة الوالدية والوسط العائلي مؤثران في الشاب

كتب مصطفى كامل باشا نابغة مصر ومحيي شعورها الوطني على حيطان مدرسته في القاهرة حكماً جليلة منها — لا تغتر بالظواهر · وكثير من منيري سبل الانسانية ينادون بهذا الرأي · ومع معرفة الجميع بان الظواهر غرارة مع ذلك لا يدعهم الضعف البشري دون اغترار

فيغتر الجاهل برزانة العاقل فيعدها جموداً ويتهم المتدين كل من يعترض على امر ديني بغية استقصاء حقيقته بالكفر · ولا يزالون يغترون بالبيع بالراس مال او بالخسارة وبالقسم بالصدق او بالسرف

نغتر بمظاهر قوانا فنقدم على الاعمال دون تروٍ ونتوسع فيها بسرعة ثم لا نلبث ان نفقد تلك القوى فنكل ونعود خائبين وهذا سر الفشل في مشاريعنا اخصها الكبيرة

الشك مرٌ ولكنٌ دون الشهد ابرَ النحل فانا لا ادعوكم الى زعزعة اركان الثقة فيما بينكم · لا احضكم على الريب بكل الامور بل انبهكم فقط الى ان الظواهر غرارة واننا جميعنا بالظواهر نغتر

فلنتروَّ بالاعمال ولنعدل بالاحكام فقد كفانا اغتراراً · كفى هذه الامة تلاهياً بظواهر الامور · فان من الجهل البقاء على هذه الحال وحرام علينا ان نظلَّ بها مكتفين